الحقد القديم في صدور أهل ذاك الجبل أيضاً وهو :

« اذا نشبت الحرب بيننا و بين الأتراك فلا يجوز لاحد من أهل الجبل ان يترك ساحة القتال الا بامر رئيسه . وكلّ من يفرّ أمام الترك يفقدْ شرفه الى الابد ويُصبح محتقراً منبوذاً من آلهِ ، ثمّ يُلبس ثوب امرأة ويُعطى مغزلاً ليشتغل بهِ مع النساء ، وتعمد النسوة أنفسهنّ الى طرده كما يطرد الجبان الذى يخون وطنه »

وهنا ندع القاريء يفكر في الحالة النفسية التي كان فيها أعداء تركيا يوم ساروا الى الحرب وهم يؤملون النصر

يوسف البستانى

سفراء الدول

يلعب السفراء في الآونة الحاضرة دوراً خطيراً في الحوادث التي تشغل الآن العالم قاطبة . وبهذه المناسبة ننشر للقراء المقالة الآتية التي كتبها خصيصاً « للزهور » حضرة الكاتب المجيد اسكندر افندي شاهين « صاحب الرأي العام » ورئيس تحرير « الوطن » . قال :

اذا كان لك على الزمان قضية وفي صدرك الكريم من أهل الزمان غلة لأنهم لم ينصفوك او لأن عامتهم نسبت فضلك الى سواك فاعلم ان لك في هذا الظلم شركاء يقومون بكبير الأعمال ويُمدح غيرهم من سراة الرجال . هم السفراء ينوبون عن ملوك الأرض وشعوبها . وينجزون المهام العسيرة على مهلٍ ، ويحلّون المعضلات من وراء الحجاب فلا يدري الجمهور بما فعلوا ويزعم الأفراد ان الفضل في الحل لمعاشر الملوك والوزراء . ولطالما تغنّت الأقوام بمدح ملك وردّدت ذكر ذكائهِ الشديد ورأيهِ السديد مع ان الملك لم يكن الاّ عاملاً برأي سفيرهِ ، ولو ترك الأمر لهُ لبقيت الحالة كما كانت او ساءت وتغيّر تاريخ بني الانسان . وربما وقع الوزير في

خطإٍ يحمله على الخروج من منصبهِ وتحمُّل مرارة الذم وسخط المواطنين ، أو رأى الناس يكتبون التاريخ مقلوباً على عادتهم من قدم، وينسبون اليهِ الغلط في السياسة والتدبير وهو مع ذلك بلا ذنب يوجب الملام غير انهُ وثق بأحد السفراء، وعمل برأيهِ أو تحمَّل تبعة غلطهِ الكبير

فالسفير في هذه الممالك هو القوَّة الكامنة وراء العرش وهو المحرّك خفيَ عن الأَبصار يدير المسائل ، ويقضي في الأُمور بالنيابة عن الملوك والوزراء ولكن عامة الخلق لا تفطن الى وجودهِ في كثير من الأَحوال ولا تنصفه حين توزّع مدائحها على جليل الأَعمال . ما سمعت بسفير نال حقّه من ثناء الجمهور الاَّ حين عُقد مؤتمر السفراء في لندن وعهدت الدول الى اعضائهِ الحاليين تسوية المشاكل والبتّ في معظم ما يتعلق بحرب البلقان ومستقبل الشرق القريب

قلت ان السفير نائب الملك او للدولة في البلاد التي يندب لانتيابها فهو اكبر من الوزير مقاماً يتقدَّمهُ في المحافل الرسمية وقد يتقدَّم بعض الأُمراء ايضاً فما يعلوهُ في موضع عملهِ غير ملك البلاد او الرئيس . وراتب الوزير على الجملة أقل من راتب السفير لأَن وزراء الغرب يقتضون حوالي خمسة آلاف جنيه في السنة وأما السفراء فرواتبهم من ستة آلاف الى عشرة في العام . وربما كان سفير الجمهورية الفرنسية في لندن أعظم الاقران راتباً لأنهُ ينال من مال بلادهِ ٢٦٠ ألف فرنك او اكثر من عشرة آلاف جنيه ؛ ولهُ في عاصمة الانكليز قصر منيف ومقام عظيم . ولا يقلّ السفراء في العواصم الكبرى مقاماً عمن ذكرت ولو ان الراتب

أقل ألفاً أو ألفين فان السفير واحد في الكرامة سواء كان في لندن أو في غيرها من العواصم التي يُعرف فيها وكلاء الدول العظمى باسم السفراء وهي باريز وبطرسبرج وبرلين وڤينا ورومية والاستانة وواشنطون وتوكيو وبكين . وأما الدول الثانية مثل اسبانيا والبلجيك وبقية هذه الممالك والجمهوريات فان مندوبي الدول فيها يعدّون وكلاء سياسيين ورواتبهم تختلف ما بين ألف جنيه في السنة وسبعة آلاف وهو راتب وكيل الدولة الانكليزية في مصر ومدريد وريودي جانيرو عاصمة جمهورية البرازيل . وليس يعدّ هذا الراتب كبيراً على السفير أو وكيل الدولة لأنهُ ينبغي لهُ ان يعيش عيشة الملوك وأن يحيي الليالي الراقصة ويولم الولائم ويكون في مقدمة أهل البذل والعطاء . وقد كان السفراء قبل هذه الأيام يأخذون معهم من بلادهم جيشاً جرّاراً من العمّال والصنّاع والخدَمة والأطباء وسواهم حتى يكون كل ذي علاقة بقصر السفير من أهل بلادهِ وتعد سفارتهُ مملكة ثانية لملكهِ في عاصمة الدولة الأخرى ولكنهم قللوا من هذا الاسراف في الزمان الأخير

وما زالت السفارة في كل بلاد تعدّ جزءاً من أرض المملكة التي جاء منها السفير : فسفارة الروس في باريز قطعة من أرض روسيا تسري فيها الاحكام الروسية ولا سلطة لفرنسا وقانونها على من دخل أرض هذه السفارة وقس على هذا ما جرى مجراه . يذكرني ذلك بما كان من أمر ملك الانكليز وامبراطور النمسا في احدى السنين الماضية فان الامبراطور كان قد وعد بزيارة الملك في لندن ثم رأى أنّ الكبر أقعد همتهُ وصيّر

السفر خطراً عليهِ فعدل عن تلك الزيارة ولما ذهب ملك الانكليز بعد ذلك الى ڤينا قام الامبراطور لاستقباله وذهب للسلام عليهِ في السفارة الانكليزية وتعشى فيها معهُ ليقال أنهُ زار قرينهُ في أرض انكليزية وهي سفارة انكلترا في عاصمة النمسا . ويذكر من هذا القبيل ايضاً أن رئيس جمهورية الولايات المتحدة لا يدخل سفارة أجنبية لان قانون الجمهورية يحظر عليهِ السياحة في الاقطار الخارجية مدة الرئاسة ، والسفارة عندهم أرض أجنبية كما تقدم البيان . فمقام السفير مقام ملك ولهذا تراهم يهتمون غاية الاهتمام لانتقاء السفراء وقد يتنازل رئيس الوزارة عن كرسيه حتى يذهب سفيراً الى عاصمة من العواصم الكبيرة وتعرض الوزارة من حين الى حين على بعض السفراء فيابونها. مثل المسيو وادنتون سفير فرنسا السابق في لندن كان رئيس الوزارة الفرنسية ومثل اللورد دفرن سفير انكلترا السابق في باريز عرضت عليهِ الوزارة مراراً فلم يقبلها. ولقد قال اللورد بامرستون يوماً وهو أحد وزراء الانكليز المشهورين انه ليس في كل عشرة ملايين رجل اكثر من واحد يصلح للسفارة . وقوله صحيح لما أن السفير يدير سياسة الدولة التي ترسله والدولة التي تقبله على السواء فهو في يده السلم والحرب اذا كان قليل الميل الى السلام كان اضرام الحرب على يده من أسهل الأمور

ولما كان هذا مقام السفير وهذا شأنه فهم قد خصُّوه بامتيازات شتى حتى جعلوه مساوياً لملك البلاد التي يقيم فيها واذا شاء السفير أن يخاطب القيصر أو الملك رأساً في كل أمر فلا سبيل الى ارجاعهِ عما يريد . ولكن

السفراء وهم دهاة الامم وجبابرة العقول يؤثرون الوصول الى غايتهم بطرق اللطف والمجاملة فلا يصرّون على حق لهم يولد الجفاء أو يدعو الى النفور. وقد بدأوا بأعطاء السفير حقوق الملك من نحو ١٨٥ سنة . وكان منشأ هذا الامتياز في لندن اذ حدث فيها ان بعض المتآمرين واصحاب الدسائس قبضوا على سفير روسيا في لندن وخطفوهُ من وسط المدينة ، وأودوا به لاسباب تتعلق بسياسته في داخلية روسيا . فكبر الأمر على حكومة الانكليز وأصدرت أمراً باعتبار سفراء الدول الكبيرة مثل ملك انكلترا في الامتيازات والحقوق حتى لا يبقى سبيل الى الاعتداء عليهم كما حدث لسفير الروس . واجتمع بعد ذلك مؤتمر للدول في باريز رأى أعضاؤه أن انكلترا أصابت في منح هذه الامتيازات للسفراء، فاجمعوا على تعميم هذا المبداء في جميع العواصم على السواء

وعلى هذا فان السفير مثل الملك فوق القانون يمكنـهُ أن يأتي ما شاء من المنكرات ولا حرج عليهِ ولا سلطة تقوى على رده؛ فكل ما يمكن فعله في هذه الحالة أن الدولة ترجو دولة السفير المذكور اقالته أو نقله من بلادها . ولكن هذا لايحدث من السفراء وهم رجال الأدب الباهر واللطف المشهور والعقول الكبرى في كل زمان . كذلك عمّال السفارات وأقاربهم يعدون من اصحاب الامتيازات لا سلطة للحكومة المحلية عليهم. فاذا اقترف احد كتّاب السفارة اثماً نجا من سلطة الحكومة المحلية بقوة هذا الامتياز وقد تجري محاكمته داخل السفارة حسب قانون بلاده الاصلية . ولكن هذا لايحدث أيضاً الا فيما قلّ . واكثر السفراء يتنازلون عن حق

سفارتهم فيما لو حدث أمر يخالف قانون البلاد من أحد عمالهم ويسلمون ذلك العامل للحكومة المحلية احتراماً لها ولقانونها . حدث مثل هذا من عهد غير بعيد في لندن اذ اعتدى روسي على احد الاهالي وضعفه على وجهه في قارعة الطريق فلما علم السفير الروسي بما جرى أمر عامله في الحال أن يذهب الى المخفر ويسلم نفسه للبوليس الأنكليزي أو يخرج من خدمة السفارة فآثر الرجل عدل انكلترا على ضياع المركز وحكم عليه بغرامة مع انه كان يمكن انقاذه من العقاب . ومن هذا القبيل أن سفير الامير كلق في باريز صدمت عربته عاجلة صغيرة لأحد الاهالي فحطمتها ولما رأى السفير ذلك عرض على الرجل ان يعوض عليه ما فقد في الحال ولكن الرجل كان ذا نزق فلم يكلم السفير واقام عليه قضية وكان كاتب المحكمة جاهلا مثل صاحب القضية فقبلها وأرسل انذاراً الى السفير كأنما السفير تحت سلطة القانون . فاعترض السفير الاميركي عن الانذار وأرسله الى وزارة الخارجية وكانت النتيجة ان الانذار الغي وفي الحال والكاتب عزل وحقوق الرجل ضاعت بقوة الامتياز الذي خص به معاشر السفراء

ويحق لنساء السفراء ما يحق للملكات لان السفير يتقدم وزراء الامة التي يقيم في ارضها ولزوجته يحق التقدم ايضاً على كل نساء المملكة ما خلا الاميرات. وقد حدث أشكال بسبب امتياز النساء هذا في روميه من بضعة اعوام لان احدى الاميرات دعت غلية القوم الى ليلة راقصة فلما انتهى الرقص دعت الاميرة بعض صاحباتها وقريباتها للطعام ولم تدع زوجة السفير الفرنسي ولا زوجة السفير الانكليزي الى المائدة فخرجت

السيدتان من قصر الاميرة مغضبتين. وانكر السفيران فعل الاميرة وطلبا من حكومة ايطاليا أن تحملها على الاعتذار وكانت حكومة الطليان في أول الامر مستخفة بالحكاية فلما كثرت عليها المسائل والرسائل من لندن وباريز اضطرت الى العدول عن رأيها وارضت السفيرين

ويعفى السفراء من الضرائب المحلية والعرائد ورسوم الجمارك حتى ان الاشياء الواردة باسم السفير أو أحد عماله من الخارج ترسل بلا تفتيش ولا تنقيب . وربما ذكر القراء ما حدث في الاسكندرية من زمان قريب بشأن هذا الامتياز فان قنصل روسيا وقع في مشكلة ورأى عمال الجمرك ان الصناديق التي ترد باسمهِ أو بأسماء مختلفة لترسل على يده الى من يشاء كثرت فيها المهربات فافضى الامر الى ان الحكومة الروسية عزلت قنصلها أو نقلتهُ من الاسكندرية ولكن حكومة مصر لم يكن لها سلطة عليه مع انهُ أهانها وهرَّب الممنوع الى بلادها على طريقة كان لها دوي كبير

على ان السفير لا يجوز له شيء واحد لقاء كل هذه الامتيازات هو التدخل في السياسة الداخلية المتعلقة بالبلاد التي يقيم فيها فاذا عرف عنهُ تداخل من هذا القبيل ولو كان صغيراً سقط من مقامهِ العالي واضطرَّ الى الرحيل . وقد يحدث من هذا القبيل ما يوقع السفير في حيرة وعقدة لا حلَّ لها مثل ان يكون حزب الاحرار في انكلترا مخالفاً لحزب المحافظين في عقد المحالفة مع روسيا فاذا سئل سفير الروس رأيهُ يوماً وهو يعلم ان عقد المحالفة يفيد بلاده لم يجز له ان يمدح حزباً ويذم حزباً

في البلاد ولا ان يعضد فريقاً بقول له أو رأي لان أقل اشارة بهذا المعنى تعدّ تدخلاً في السياسة الداخلية لا يجوز . وهذا ايضاً قليل حدوثه . اعلمُ من قبيله حادثة واحدة قديمة جرت في لندن حين تدخل سفير النمسا في سياسة الاحزاب الداخلية تدخلاً لو تمّ المراد منهُ لأدى الى سقوط وزارة الانكليز . وقد كان صنيع هـذا السفير يومئذٍ شاذاً الى الغاية القصوى وموجباً للغضب حتى ان حكومة الانكليز اعرضت عن المجاملة وامتياز السفراء وقبضت على هذا السفير وأمرت بمحاكمته فحكم عليهِ القاضي بالحبس . ولما علمت النمسا ببيان ما فعل سفيرهـا في لندن تبرأت منهُ ورضيت بمحاكمتهِ ومعاقبته فلم ينشأ اشكال ولا حرب

واذكر حادثة اخرى قريبة العهد من هذا النوع هي ان رجلا من الاميركيين أرسل الى سفير انكلترا في واشنطون كتاباً يسأله فيـهِ رأيه عن اي الرجال اصلحهم لرئاسة الجمهورية الاميركية وكان الرئيس يومئذٍ المستر كليفلاند وهم يسعون في اعادة انتخابه فكتب السفير — واسمه اللورد ساكفيل — رداً الى صاحبه الاميركي يقول ان كل اميركي يحب الخير لبلاده يجب ان يسعى في بقاء المستر كليفلاند رئيساً لجمهوريتها . ونشرت بعض الصحف الاميركية هذا الكتاب فهاج الجمهور ولا سيما الحزب المخالف لكليفلاند وعدوا تدخل السفير الانكليزي في امورهم الداخلية اثماً لا يغتفر حتى ان المستر كليفلاند اضطر الى طلب اقالته وأعاد اليهِ أوراق تعيينه فكان لتلك الحادثة صدى ودوي من نحو عشرين سنة وكادت تؤدي الى وقوع الحرب بين الانكليز والاميركان

لان اللورد سولسبري وهو يومئذٍ وزير الانكليز عدَّ فعل الرئيس اهانة لسفيره فلم يعيّن سفيراً بدله حتى انتهت الانتخابات الاميركية وخرج كليفلاند من منصب الرئاسة

هذا الذي لا يجوز للسفراء واما الذي يجوز فاكثر منهُ كما رأيت وليس في الارض فئة اخرى تتنعم بكل هـذه النعمة وهذا الامتياز في ديار المتمدنين

اسكندر شاهين

الاندلس الجديدة

تنشر لقراء « الزهور » في الصفحات التالية قصيدة عصماء في رثاء مقدونيا وخروجها من يد الدولة العثمانية بعد عقد الصلح في مؤتمر لندرا . وهذه القصيدة من أبدع ما جاءت به قريحة شاعر عربي ، فقد جمعت من جزالة اللفظ ومتانة السبك وسموّ الخيال وبلاغة الارشاد ما يستفز القارىء طرباً عند كل بيت من أبياتها ، ويستوقفه معجباً بكل معنى من معانيها . اما ناظم دررها الغوالي فيحق له ان يجلس على عرش دولة البيان ويلقب بأمير الشعر في هذا العصر ، كما يسلم بذلك كل من يطالع هذه القصيدة النفيسة ، وان كان يؤاخذ شاعرها بانه مزج الدين بالسياسة — ولا دين للسياسة . فها هي الدول التي كانت معادية لتركيا بالامس تكاد اليوم تشهر بعضها على بعض حرباً طاحنة وهي على دين واحد ومعتقد واحد :

يا أختَ أندَلُسٍ عليكِ سلامُ هوَتِ الخلافةُ عنكِ والإسلامُ
نزلَ الهلالُ عن السماءِ فلينَهـا طُويت وعمَّ العالمينَ ظلامُ
أزرى بهِ وأزالهُ عن أوجهِ قَدَرٌ يحطُّ البدرَ وهو تَمـامُ
جرحانِ تمضي الأمَّتانِ عليهما هذا يسيلُ وذاك لا يَلتـامُ
بكما أُصيبَ المسلمونَ وفيكما دُفنَ اليراعُ وغيّبَ الصمصامُ
لم يُطوَ مأتمُهـا وهذا مأتمٌ لبسُوا السوادَ عليكِ فيـهِ وقاموا
ما بين مصرعِها ومصرعكِ انقضت فيما نحبُّ ونكرهُ الأيّامُ